قضية الفكر

الإنسان يتميز عن الحيوان بقدرته على الاختيار بين البدائل وبقدراته الفكرية والتحليلية. والإنسان في حياته يحتاج لاتخاذ قرارات وتحديد الخطأ من الصواب. وعلى الرغم من قدرتنا الذهنية التي لا تقل عن غيرنا فإنني أرى أننا نعاني من مشكلة فكرية عظيمة. فليس مشكلتنا هو عدم وجود موارد طبيعية أو عدم وجود علماء أو عدم وجود موارد بشرية ومع ذلك فنحن من الأمم المتخلفة جدا. هذه المشكلة الفكرية لها ظواهر وأسباب ونتائج

أولاً: من ظواهر هذه المشكلة

- الإيمان بأن أي شيء كُتب في كتابٍ هو أمر صحيح أو أن أي شيء موجود على الشبكة الدولية فهو صحيح
- الاعتقاد بأن كل ما صدر عن شخصٍ نحترمه فهو صحيح فتجد أن هناك من يتبع أفكار شخصٍ واحد ويفترض أن هذا الشخص لا يخطئ أبدا. وكذلك أن كل ما صدر عن شخص لا نحبه أو لا نحترمه فهو خطأ محض
- عدم تصور وجود وجهات نظر مختلفة فكثيراً ما تجد من يؤمن أن الإدارة بأسلوب ما هي الأسلوب الأوحد الصحيح
- الضعف الإداري فمن المعلوم لدينا أن الإدارة في الشركات الأجنبية التي تعمل في بلادنا تكون أفضل بمراحل عديدة من الشركات التي نديرها نحن
- ضعف القدرة الإبداعية فتجد أن الصينيين واليابانيين يخترعون لنا الملابس والأدوات المناسبة لنا كعرب أو مسلمين مثل بوصلة الصلاة وفوانيس رمضان البلاستيكية
- ضعف القدرة على تحويل الفكر إلى واقع عملي
- ضعف قدرتنا على التعاون مع الآخرين فمثلا نجد عملية تشكيل تحالفات في العمل بين الشركات في الدول العربية لتحقيق مصلحة مشتركة أمرا عسيرا
- الانقياد وراء أفكار بالية مثل ضرورة أن يكون جميع أبنائنا خريجي كليات الطب والهندسة وما يتبع ذلك من شبح الثانوية العامة
- عدم قدرتنا كأفراد على تحديد موقفنا وتحليلنا الشخصي للأمور فتجد معظم الناس يقتنعون أنه طالما أن كثير من الناس تحاول أن تفعل كذا فإن عليه أن يسعى جاهدا لنفس الشيء

ثانياً: من أسباب هذه المشكلة

- **التعليم المبني على الحفظ والنقل وعدم الإبداع**

أسلوب التعليم الذي يعتمد على أن يقوم الطالب بحفظ الكتاب أو مجموعة من الأوراق ثم يحصل على الدرجات النهائية دون أن يكون لديه فهم للمادة العلمية ودون أن يكون لديه قدرة على استخدامها في الحياة العملية. بل ويصل الأمر أن يحفظ الطالب أسلوب الامتحانات وأنواع المسائل وطرق الحل زمن أسباب ذلك

أن أسلوب الامتحان يجعلها قابلة للحفظ. هذا التلقين المستمر لا يجعل هناك فرصة للمتعلم – إن صح التعبير _ في أن يستخدم عقله

- **قبول عمليات غش الواجبات التعليمية**

كثير من المدرسين والأساتذة في المدارس والجامعات يحاول تنمية فكر الطلبة بأن يطلب منهم إعداد بحث عن موضوع ما. هذا أسلوب جيد يفترض أن ينمي فكر الطالب وقدرته على البحث والتفكير والكتابة والشرح. ولكن مع الأسف يقوم معظم الطلبة بنقل نص كامل من الشبكة الدولية أو من كتاب ما دون أن يكتب هو أو يقوم بتلخيص ما يقرؤه بل وربما دون أن يفهم محتوى التقرير الذي يقدمه. كذلك قد يقوم الطلبة بنقل تقارير سنوات سابقة أو النقل من زملاء. هذا راجع إلى قبول الغش في الواجبات وعدم الإحساس بأي ذنب تجاهه. مع الأسف لا يحدث أن يتم فصل الطالب الذي يقوم بنقل تقرير كامل على أساس أنه غشاش ويقوم بسرقة مجهود غيره وبالتالي لا يستحق الاستمرار في الجامعة

- **عدم وجود أي مجال لأن يختار الشاب طريقه**

لا يوجد أي مجال لأن يختار الإنسان بين أي بدائل حتى يتخرج من الجامعة، فحينئذ ربما اختار بين فرصتي توظيف أو اختار زوجة أو سكن. فلا يختار الطالب في المدرسة ما يدرسه، ولا يختار في الجامعة، ولا يختار الكلية التي يدخلها حتى وإن كان من الأوائل لأنه لابد أن يدخل كليات القمة. عدم وجود مجال للاختيار يجعل قدرتنا على اتخاذ القرارات ضعيفة وقدرتنا على تحليل المميزات والنتائج ضعيفة ورغبتنا في المخاطرة شبه معدومة

- **عدم تعليم الأطفال والشباب كيفية الاختلاف والحوار والمناقشة**

غالبا ما نحب ألا يكون لأبنائنا رأي مخالف لرأينا ونتمنى أن يختاروا ما نختار وأن يحبوا ما نحب. كذلك في المدرسة لابد أن يتفق رأي التلميذ مع الأستاذ وفي الجامعة كذلك، بل وإن كان هناك أكثر من أستاذ للمادة وهناك اختبار شفوي فعلى الطالب أن يجيب على الأستاذ بما يراه هذا الأستاذ بالذات لا بما يراه أستاذ آخر. كل هذا يزرع في فكرنا أنه لا يمكن أن يوجد وجهات نظر وأنه للوصول إلى النقطة ب من نقطة أ لا يوجد سوى مسار واحد. أذكر مدرسي للغة العربية في الدراسة الثانوية حيث كان يتقبل وجود وجهات نظر – مختلفة مع وجهة نظره في فهم الشعر وتحليل أوجه الجمال. هذا الأسلوب يجعل الشاب يعلم أنه لديه القدرة على أن يكون له تفكير مستقل ويعلمه تقبل الاختلاف فيما يقبل الاختلاف

- **عدم وجود فرصة لتقييم صحة ما يقال**

لا يقوم الطفل أو الشاب بدراسة وجهات نظر مختلفة وتحليلها، وبالتالي لا يكون هناك قدرة على النقد البناء. نحن لا نهتم بتربية قدرة الطفل على أن يختار ويقارن ويحلل ولكن نهتم بأن يكون وعاءً لأفكارنا وأهوائنا

- **الاهتمام بما هو نظري وإهمال الجانب العملي**

نحن نهتم كثيرا بالنواحي النظرية والشكلية فعلى مستوى التعليم يكون الحفظ وحل المسائل النظرية هما أساس النجاح، وعلى مستوى الأطفال نهتم أن يحفظوا أجزاء عديدة من القرآن – وهذا جيد- ولا نهتم بأن نعلمهم الصدق وعدم الغش في المدرسة. نحن نتعلم علوم نظرية تفوق أحيانا ما يتعلمه الطالب في الولايات

المتحدة ولكننا لا نقوم بممارسة الجانب العملي ولذلك لا نعرف كيف نستخدمها وننساها بسرعة. هذا يؤدي إلى جعل تفكيرنا لا يركز على ما يمكن تنفيذه ويؤدي كذلك إلى صعوبة تفاعل فكرنا مع الواقع

- **عدم وجود مجال واسع للاعتماد على النفس**

مجال اعتماد الطفل أو الشاب على نفسه ضئيل فنحن نكره أن يدرس أبناؤنا في جامعة خارج المدينة التي نعيش فيها ولا نتصور أن أبناءنا يجب أن يعملوا في الصيف طالما نحن لسنا في حاجة ماسة للمال. كذلك فإن اعتماد الطالب على الدروس الخصوصية هو أحد أسباب وصول الاعتماد على النفس إلى أدنى مستوى، فالطالب لا يستطيع أن يقرأ الكتاب ويحتاج من يعطيه ملخص للمادة العلمية

- **ضعف الأعمال الجماعية**

التقييم المدرسي والجامعي نادرا ما يعتمد على عمل فريق من الطلبة وبالتالي فإننا لا نعتاد على العمل الجماعي ولا نقدر فوائد العمل الجماعي ولا نستطيع استيعاب مشاكله

ثالثاً: من نتائج هذه المشكلة الفكرية

هذه المشكلة ينتج عنها أن نكون فاشلين إدارياً لأننا لا نستطيع اتخاذ القرارات ولم نعتد على تقدير المميزات والعيوب واعتدنا على الحياة بدون أي مخاطرة .نتيجة لعدم اتخاذ أي قرارات هامة وعدم وجود فرصة حقيقة للاختيار بين البدائل حتى سن متأخرة فإن قدرتنا على اتخاذ القرارات تكون ضعيفة. كذلك فإننا لم نعتد على المخاطرة والتي هي شيء أساسي في اتخاذ القرارات وبالتالي تجدنا نجبن عن اتخاذ موقف مخالف للآخرين أو عن اتخاذ قرار به شيء من المخاطرة مثل القرارات الاستثمارية

كذلك، ألا يكون لدينا القدرة على الإبداع لأننا اعتدنا على التقليد فقط ولم نعتد على تقييم ما هو موجود والإتيان بجديد. عندما تكون حياتنا التعليمية هي عبارة عن نقل ما قاله آخرون، فإن قدرتنا على الإتيان بجديد تضمر وثقتنا بأنفسنا تكون في الحضيض. تحدثت من قبل عن أننا عادة لا نحاول أن نبدع في المشاريع الجديدة بل نحاول الاستثمار في مشاريع مطابقة تماما لما يفعله آخرون

عدم القدرة على تحليل ما يقوله الآخرين يجعل انتشار أفكار منحرفة أو خاطئة بل وانتشار الإشاعات أمرا يسيرا لأنه من السهل أن ينخدع المستمع أو القارئ .بالإضافة إلى ذلك فإن عدم تقبل وجود وجهات نظر مختلفة يجعلنا نجد صعوبة في التحاور ولا نتصور أن وجهات النظر المختلفة والحوار قد تؤدي إلى الوصول إلى قرارات أفضل أو حلول أفضل. كذلك قد يكون نتيجة ذلك أن نأخذ قرارات فاشلة جدا نتيجة لعدم قدرتنا على قبول نصيحة الآخرين أو تحليل وجهة نظرهم

وبالتالي تكون النتائج النهائية لهذه المشكلة كالآتي

- تخلفنا التكنولوجي
- عدم قدرتنا على إيجاد حلول غير تقليدية لمشاكلنا
- عدم قدرتنا على المنافسة في الأسواق العالمية
- عدم قدرتنا على النجاح البعيد المدى
- انتشار أفكار خاطئة وأفكار منحرفة

- انتشار البطالة نتيجة لعدم رغبة أصحاب رؤوس الأموال في الاستثمار
- عدم قدرة كل شخص على تحديد ما يصلح له
- الفشل الإداري

ماذا يمكن أن نساهم به في تنمية القدرات الفكرية والتحليلية؟

إن كنت أباً أو أماً أو معلما أو أستاذا جامعيا فأعط لأبنائك أو تلاميذك مساحة للتفكير وإبداء الرأي في بعض الأمور التي تتناسب مع سنهم. اطلب منهم القيام ببعض الأعمال بأنفسهم وشجعهم على الإتيان بأفكار جديدة. شجعهم على التحاور والمناقشة وعلمهم تقبل اختلاف وجهات النظر. شجعهم على القراءة وعلى تقييم ما يقرؤونه. حاول أن تتيح لهم فرصة القيام بأشياء عملية مثل تجارب معملية، رسم لوحات (بأنفسهم)، عمل مشاريع مشتركة، عمل مجلات حائط - ولا تقبل أن يقوم أولياء الأمور أو بعض الخطاطين بذلك بالنيابة عن الطلبة. شجعهم على متابعة البرامج التي تنمي فكرهم. أعطهم الفرصة لاتخاذ بعض القرارات حتى وإن اتخذوا قرارات فاشلة فأنت وأنا لم نتعلم إلا من أخطائنا فكذلك هم. لا تطلب منهم أن يكونوا صورة طبق الأصل منك في تفكيرك وتحليلك للأمور وطموحاتك. اسمح لهم ان يختاروا بين البدائل وساعدهم أن يختاروا ما يحبون لا ما يحب الناس وأن يحددوا أهدافهم في الحياة كما يحبون لا كما اعتاد الناس. حثهم على التفكير المستقل عن طريق عدم قبول نقل التقارير التي تطلبها منهم من الشبكة الدولية أو من الكتب، ولكن اطلب منهم أن يتفهموا ما يقرؤون و أن يكتبوه بأسلوبهم وأن يكون لهم قدرة على توضيح أفكارهم. شجعهم على الاطلاع على وجهات نظر مختلفة في المواضيع العلمية والفكرية وشجعهم على تحليلها ونقدها واتخاذ موقف منها. اجعلهم يشعرون أنهم قادرون على التفكير والتحليل والإبداع واتخاذ القرارت ولا تزدري أفكارهم ولكن حاورهم وناقشهم ووضح لهم الجوانب التي لم يأخذوها في الاعتبار. اسألهم أسئلة تنمي فكرهم مثل اقتراح أفكار لتطوير المدرسة أو الجامعة أو اقتراح أفكار لتطوير الصناعة أو تطوير أي شيء. علمهم المبادىء والقيم السليمة التي يستطيعون بها ان يحكموا على الغث من الثمين، وعلمهم أسلوب تحليل المشاكل وتقييم الأمور.

إن كنت مديرا فاترك لمرؤوسيك بعض الحرية والفرصة لابداء الرأي واتخاذ بعض القرارات. لا تنس أن النجاح له عدة طرق وأن مرؤوسيك قد يصلوا إلى النجاح بأسلوب يختلف عنك فلا تطلب منهم أن يكونوا ماكينات تعمل لديك ولكن ضع أنظمة واستراتيجيات عامة تحكم قراراتهم ثم اترك لهم بعض الحرية. تأكد أن أقل شخص يعمل لديك قد يكون عنده من الأفكار لتطوير العمل أو المتنج ما لم يخطر لك على بال فلا تقتل فيهم روح الإبداع بل استمع إليهم واقرأ أفكارهم وإياك أن تحتقرها، وإن رفضت فكرة فوضح لهم الأسباب أو على أقل تقدير لا تقل إنها فكرة سخيفة أو غبية أو مجنونة فكم من أشياء عظيمة بدأت بأفكار بدت حينها أفكار مجنونة

نم قدراتك التحليلية وأعط لنفسك ثقة في نفسك. تذكر أن قدراتك الذهنية لا تختلف عن الآخرين وأنك قادر على أن تأتي بجديد في عملك وفي حياتك. اقرأ لهذا ولذاك وقارن بينهما. علم نفسك كيف تنظم فكرك ووقتك وكيف تتخذ القرارات، وتعلم من القرارات الخاطئة التي اتخذتها في العمل والحياة. وطن نفسك على أنك قد

تتخذ قرارات خاطئة وأن وجهة نظر من هم أصغر منك او أقل رتبة قد تكون أحيانا أفضل من وجهة نظرك وقد تساعدك على اتخاذ قرارات أفضل. لا تكن ممن يتكلم كثيرا ويفعل قليلا فلا تكثر من الحديث عن تطوير العمل ولكن بادر بالتطوير وابدأ اول خطوة وأتبعها بالخطوة الثانية وهكذا. لا تكن مقلدا لكل شيء فليس بالضرورة أن تحب كل ما يحبه أكثر الناس ولكن افعل ماهو صواب وما ترى أنك تحب أن تفعله، فليس بالضرورة أن تلبس رابطة العنق العريضة إذا كنت لا تحبها ولا أن تحمل تلفون محمول لمجرد أن كل الناس يحملونه، ولا ينبغي لكي تكون سعيدا أن تكون أستاذا في الجامعة أو وزيرا ولكن النجاح والسعادة لديك قد يكون لهما معايير مختلفة عن الآخرين

ملحوظة

أحب أن أوضح أن هذا الموضوع لا يتحدث عن الأمور المسلم بها التي لا تقبل أن نبدي فيها رأينا الشخصي مثل ما جاء في القرآن وفي صحيح الحديث. أما ما نتحدث عنه هنا فهو القرارات الشخصية وتحليل الأحداث وتحليل آراء الآخرين .كذلك فإنه في الأمور الدينية قد يكون هناك اختلاف في التفسير والفقه وخلافه. ولا يفوت القارئ أن هناك أمور يتكلم فيها المتخصصون وهناك أمور عامة وهناك أمور تحتاج قرارات شخصية. فالأمور التي يتكلم فيها المختصين – مثل المشايخ في الدين والأطباء في الطب وهكذا- يمكننا فيها الاستماع لوجهات نظر المختصين المختلفة والمقارنة بينها وإبداء رأينا إن كنا من المتخصصين في هذا الأمر. أما الأمور العامة فيمكننا أن نستمع لما يقوله الآخرون وأن يكون لنا رأي خاص. أما القرارات الشخصية فيجب أن نتخذها نحن وقد نستشير الآخرين